من إعداد الأساتذة المشاركين في الملتقى

تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية بين الآليات والمآلات

أعمال الملتقى الوطني الأول
يومي (04-05 مارس 2020م)

جامعة أمحمد بوقرة ببومرداس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

رئيس الملتقى: د. لبصير نور الدين

رئيس اللجنة العلمية: د. طالب عبد القادر

Dar Alkhaima
دار الخيمة للنشر والتوزيع

أعمال الملتقى الوطني الأول
4 و5 مارس 2020م

تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية بين الآليات والمآلات

جامعة أمحمد بوقرة ببومرداس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة بومرداس
Université de Boumerdes
University of Boumerdes

دار الخيمة
للنشر والتوزيع
حي باب الشارف، وسط مدينة الجلفة،الجزائر
هاتف: 0781789395
فاكس: 027 78 29 77

Dar Alkhaima
دار الخيمة للنشر والتوزيع

9789931550570

تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية بين الآليات والمآلات

الكتاب عبارة عن أعمال الملتقى الوطني الأول

المقام بكلية اللغات والآداب جامعة بومرداس

يومي (04-05 مارس 2020م)

من إعداد الأساتذة المشاركين في الملتقى

Dar Alkhaima
دار الخيمة للنشر والتوزيع

رئيس الملتقى: د. لبصير نور الدين

رئيس اللجنة العلمية: د. طالب عبد القادر

حقوق الطبع محفوظة

دار الخيمة للطباعة والنشر والتوزيع

ردمك: 978 - 9931 - 550 - 57 -0

السداسي 2/ 2021

دار الخيمة

حي باب الشارف، وسط مدينة الجلفة

هاتف: 0781 78 93 95

E-mail :darelhkaima@outlook.com

دار الخيمة للنشر والتوزيع:facebook

تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية
بين الآليات و المآلات

أعمـــــــــــال الملتقى الوطني الأول
بكلية الآداب و اللغات جامعة بومرداس
يومي (04- 05 مارس 2020)

ديباجة الملتقى:

في ظلّ التجاذب الحاصل في تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة بين تبني الدراسات الغربية ، وعد التراث عائقاً من عوائق النهضة العلمية،وبين تيار رافض لكلّ جديد مهما كان، تحت تأثير التعصب للموروث، وترى أنّ أيّ تطبيق لهذا الدرس اللساني الحديث يعدّ انصرافاً عن البحث اللغوي العربي الأصيل، وكلّ المحاولات الجادة لإعادة قراءة التراث اللغوي وفق المناهج المعاصرة تعد عدولا عن منهج تأصيل التراث... ،وفي ظلّ هذه التجاذبات برز تيار ثالث يرفض أنصاره التقليد الأعمى، والنقل، ويدعو إلى قراءة التراث بعين الحداثة،وأن تعاد قراءة الحداثة في إطار التراث،ولكن ليست القراءة المتعجلة التي تظهر تحمساً زائدا للتراث في محاولة إلحاقه بحداثة اليوم،وعلى العكس ترفض تقوقعا في بؤرة التراث، وفي الوقت نفسه ترفض الجمود،وإغلاق الباب في وجه التيارات القادمة من الأخر....،وفي ضوء هذا المعطـــى جاء هذا الملتقى ،وهمه، وشغله الشاغل الإجـــابة عمَّا تحمله من إشكالات فكرية، وقضايا معرفية تمس موضوع الملتقى، هذه الأسئلة، والإشكاليات التي طرحت تلخص بعض الجوانب التي كانت عائقاً في التواصل بين القديم، والحديث؛وهي الإشكالات التي ظلّت تنتظر الإجابة من المثقف العربي في علاقة الفكر اللغوي القديم باللسانيات الحديثة، ونقاطا أخرى نطمح أن يقف عليها الأساتذة الباحثون.

إشكالية الملتقى:

يسعى هذا الملتقى إلى الوقوف على الإسهامات اللغوية لأسلافنا المفكرين في التراث اللغوي العربي،هل حظي البحث فيه ما يستحقه من عناية، واهتمام؟،وهل ما زالت مجالات كثيرة في التراث العربي بكراً تحتاج إلى نظرة علمية واعية؟،ثم هل الأبحاث التي أُنجزت – وإن كانت ذات قيمة في رصيدها المعرفي للتراث العربي- تجتر عطاءً معرفياً لأسلافنا الباحثين،و لم يخرج جهدها إذ ذاك من عملية نقل،أو تصنيفدون أن يكون لروح العصر الحديث لمسات على هذا التراث ليبعث فيه التجديد؟ هل كانت مشكلة قراءة التراث الذي أقدم عليه الباحثون المعاصرون يوحي بأنّ مهمة النظريات هي عملية تأويل التراث لا قراءة اللغة؟ وإلى أي مدى يمكننا قراءة الفكر اللغوي القديم في ضوء المعطيات اللسانية الحديثة؟ أين تتقاطع اللسانيات مع التراث اللغوي،وهل يمكن صياغة نظرية تجسرٍ العلاقة بين الدرس اللغوي التراثي، واللسانيات؟أم أنّ سيل الكتابات أسهم في اتساع الفجوة بين أنصار الجديد والقديم؟ وسوغ الاختلافات،والاتهامات المتبادلة؟ وهل مارس العقل الإسقاطي بحماسته مفرطة بإرجاع كثير من المسائل اللغوية الحديثة إلى أصول تراثية؟

أهداف الملتقى: يهدف هذا الملتقى إلى :

– ترسيخ الجرأة العلمية للتخلص من وهم الصراع بين القديم والحديث، لأنّ كليهما صار عائقاً لتطور المعرفة العلمية.

– التخلص من الخطاب الاجتثاثي الذي مارس القطيعة مع التراث، والتواصل مع التراث اللغوي دون تقديس ولا تنقيص.

– إحلال مبدأ الحق في الاختلاف الفكر ي من خلال التفاعل،والتحاور لا على التجاهل، والتناكر.

– تقويم حصيلة التطبيقات اللسانية في الفكر اللغوي العربي المعاصر في مقاربته للتراث.

– الإسهام في بناء لسانيات عربية أصيلة في إطار رؤية تعمل على التوفيق بين التراث والحداثة .

وتأسيسا على ما سبق جاء تنظيم هذا الملتقى

الموسوم بـ (تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية بين الآليات، والمآلات)ورغبة في توسيع النقاش،وإثراء الموضوع ندعو الكتاب، والمفكرين، والباحثين إلى إعادة الاعتبار لتأصيل اللسانيات في التراث دون إقصاء، ولا إسقاط في جملة من المحاور.

محاور الملتقى:

المحور الأول: مقومات تأصيل اللسانيات في التراث اللغوي المنطلقاتوالمفاهيم، والتوجهات.

المحور الثاني: تأصيل التراث اللغوي في الفكر اللساني المعاصر بين القطيعة والتواصل.

المحور الثالث: التراث في الرقمنة بين تراثية المصدر وحداثة الوسيلة.

المحور الرابع: التراث اللساني العربي والقضايا الأدبية والنقدية المعاصرة.

هيئات الملتقى:

رئيس الملتقى: د. لبصير نورالدين

رئيس اللجنة العلمية للملتقى: د.طالب عبد القادر

منسق الندوة: أ. سليم بوعجاجة

أعضاء اللجنة العلمية:		أعضاء اللجنة التنظيمية:	
طالب عبد القادر	محمد سياخن	سليم بوعجاجة	راضية مرجان
علي سعيد بهون	صالحي علي	صبيرة بودينة	فتيحة بن عراب
زلاقي رضا	عبد الغني الزيتوني	رابح بن عراب	زاهية عثمان
محمد فريجة	نصيرة الوناس	عبد الرحمان وغليسي	نجوى ميغاوي
خيرة بن ضحوة	توفوتي شهرزاد	عبد القادر فكراش	هشام قيراط
لبصير نورالدين	شفيري فتيحة	عبد العزيز واضح	حميد صغير
طاهر مساحلي	خليدة بن عياد	وافية مريبعي	إسمة ميسوم
سعيدة سعدودي	ملاح كيسة	بلال الحباس	جيلالي فاسي
ضياف فاطمة الزهراء	عبد الرحمان بوزنون	موسى سلامي	سامية بوفرورة

الافتتاحية

إنّ الفكر اللغوي العربي اليوم بأمس الحاجة إلى إحياء المخـــزون التراثي الأصيل، والذي بات أكثر من ضرورة أمام ما يشهده العالم من انفجار معرفي، والبحث عن الآليات الملائمة لقراءة التراث بكلّ تشعباته، إذ يشكل رهاناً أساسياً داخل كل استراتيجية معرفية، لذلك سعت الكتابات اللسانيات المعاصرة إلى إحياء و تفعيل التراث، ومحاولة إكسابه السبق العلمي بيد أنّ الإشكال يكمن أنّ هذه الكتابات في تأصيلها للتراث جعلته مرتبطاً بمدى ملاءمته لما تقدمه النظريات الغربية الحديثة ،ذلك أنّ حبهم للتراث جعلهم يبالغون فيه إلى الحدّ الذي أداهم لتمييعه تحت شعار تحديثه، ثمّ قادتهم الرغبة الملحة للبحث عن شرعية التأصيل للتراث إلى ممارسة العقل الإسقاطي والحماسة المفرطة، بإرجاعهم كثيراً من المباحث اللسانية الحديثة إلى أصول تراثية.

وفي ضوء هذا حاول هذا الملتقى الإجابة عن جملة من الإشكالات المنهجية، والموضوعية المتعلقة بمسألة تأصيل التراث، **هل كلّ ما وصلت إليه اللسانيات اليوم موجود في التراث؟ ،هل كتابات المعاصرين في مجال اللسانياتفتحت مجالاً جديداً واسعاً في آفاق اللسانياتوأسهمت في مد جسرٍ بين اللسانيات، والتراث**أم أنّها وقعت في معضلة الغلو؟،وهل هذا الاهتمام المتزايد باللسانيات انعكس بالإيجاب في التأصيل للتراث؟،وهل إصرار وإلحاح بعض الكتابات اللسانية العربية أنّ علماء التراث هم الأسبق في التأصيل لمفاهيم اللسانيات **هو مغالطة علمية أم حقيقة استطاع الفكر اللساني المعاصر أن يبرهن على صحتها؟**وهل حبهم للتراث ودفاعهم عنه أوقعهم في مزالق الإسقاطات؟،ثمّ هل الصدام مع الحضارة الغربية شكّل أكبر محرض لهم على إعادة قراءة التراث؟،و **ماهي أهم معوقات تأصيل التراث اللغوي القديم في الكتابات اللسانية المعاصرة؟**هل هناك ضرورة لإعادة النظر في التأسيس المنهجي لهذه الكاتبات اللسانية، وإعادة النظر في الإسقاطات التي مارسته على التراث اللغوي القديم ،وكذا البحث عن الآليات التي تسمح قراءة التراث من داخل بنيته لاكتشاف منطقه وهويّته ووظيفته هذه جملة من الأسئلة والإشكالية التي تمثل المنطلقات الأساسية لهذا الملتقى.

توصيات الملتقى

توصي لجنة التوصيات المنبثقة عن المؤتمر الأول :تأصيل التراث اللغوي في ضوء الدراسات اللسانية بين الآليات والمآلات المنعقد يومي 4-5/مارس 2020 بما يلي:

1- الاهتمام بالمدونات التراثية ،وإحياء التراث بإعادة قراءته قراءة واعية ،مع ضرورة إدراجها ضمن مقررات التكوين.

2-توسيع الدائرة الزمنية للتراث العربي ،وعدم حصره في القرون الثلاثة الأولى.

3- تخصيص الملتقيات القادمة لبحث قضايا وإشكالات لغوية ونقدية وأدبية في علاقاتها بالتراث ؛ المصطلح-المنهج- الرؤية-المقاربة...

4- ضرورة طبع مداخلات الباحثين في كتاب يخصص لأعمال الملتقى .

5- ترقية هذا الملتقى لإلى ملتقى دولي للاستفادة من خبرات الباحثين من خارج الجزائر في هذا المجال المعرفي .

6-العمل على إنشاء مخبر علمي يعنى بالتراث اللغوي والأدبي .

ظاهرة التداخل النصّي في النظرية النقدية الحديثة
وتجلياتها في الفكر اللغوي البلاغي لعبد القاهر الجرجاني

د.عبد القادر طالب

جامعة امحمد بوقرة – بومرداس(الجزائر)

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استنطاق بنية التراث البلاغي عند العالم العقلاني عبد القاهر الجرجاني ومقاربة جهوده الأدبية، المثيرة للكثير من القضايا النقدية التي احتواها الموروث الفكري العربي وشكّلت إرهاصا معرفيا أوّليا لأحدث النظريات النقدية المعاصرة، التي يتبنّى اليوم الفكر الأوربي المعاصر زعامتها ويقارب بإجراءاتها النّص الأدبي ونخصّ بالذكر"نظرية التناص"أو"التداخل النصّي".

Résumé :

Cette étude vise à interroger la structure du patrimoine rhétorique chez le grand chercheur rationnelle AbdelKahirDJerjani. Et d'extrapoler ses efforts littéraires pour certaines questions monétaires. qu'il contenait le patrimoine intellectuel arabe, et a formé un précurseur du prototype cognitive des dernières théories critiques contemporaines, qui Dirigée par la pensée contemporaine européenne a également Et sur les procédures multiples des textes littéraires notamment«La théorie de l'intertextualité»ou« Le chevauchement du texte »

توطئة:

انفتحت الممارسة النقدية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين على"تيارات ومرجعيات نقدية مغايرة، فبعيدا عن شعارات علمنة الظاهرة الأدبية التي رفعتها الشكلانية الروسية والبنيوية اللسانية، التي أهملت الذات المبدعة والسياق والمتلقي في محاولة يائسة لعزل النّص الأدبي عن محيطه وسجنه داخل مقولات لغوية نصّية، تبلورت مدارس واتجاهات نقدية أعادت الاعتبار للذات وللمتلقي وللسياقات المتعددة التي تؤطّر إنتاج الأدب"1، ومن بين هذه الاتجاهات النقدية، نظرية (التناص) أو (التداخل النصّي).

فما المقصود بالتناص أو التداخل النصّي؟ ما الذي تبحثه هذه النظرية في مقاربتها للنص؟ هل عرف النقد العربي القديم مثل هذا المصطلح النقدي أوتداولت مباحثه لهذه الظاهرة الفنية؟ هل تَطرّق إليها الإمام

1- خليل موسى، التناص ومرجعياته في نقد مابعد البنيوية في الغرب، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، ع 143، 2010، ص(43...) وينظر:أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007، ص19.

اللغوي (عبد القاهر الجرجاني)؟ وإنْ سلّمنا بذلك، فما الدواعي التي اشتمل عليها الخطاب الأدبي ومكنت الجرجاني من رصدها والوقوف عليها؟ ومن أيِّ مستوى من الخطاب اشتغل عليها؟

- التناص (التداخل النصّي) في النظرية النقدية الحديثة:

التناص"l'intertextualité" مصطلح منحوت من كلمتين (Inter) بمعنى (داخل) و(textual) بمعنى نصّي، ويردّ إلى مصطلح (Intertext) حيث تعني(Inter) في الفرنسية: التبادل، بينما تعني كلمة (texte): النص وأصلها مشتق من الفعل اللاتيني(Textere) بمعنى نسج أو حبك ليصبح معنى (Intertext) التبادل النصّي، أو التداخل النصّي أو(التناص)2.

أمّا اصطلاحا، فللتناصمن المصطلحات النقدية الحديثة التي حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين تنظيراً وتطبيقاً وتناولت نظريّته أبحاثٌ متعددة ودراساتٌ لا حصر لها، فتعددت تعاريفه وتنوّعت بين المشتغلين بمجاله؛ فهو"مصطلح عائم بالنظر إلى المرجعية والممارسة والظاهرة الإبداعية من جهة وبالنظر إلى طبيعة المفهوم وحداثته من جهة أخرى" 3، حيث يشير إليه روبرت شولز بأنّه:"اصطلاح أخذ به السيميولوجيون مثل"بارت" و"جينيه"و"كريستفا" و"ريفاتير" وهو اصطلاح يحمل معاني وثيقة الخصوصية يختلف بين ناقد وآخر والمبدأ العام فيه هو أن النصوص تشير إلى نصوص أخرى."4

ولعلّ أبرز تعريف للتناص كان للناقدة "جوليا كريستيفا" صاحبة السبق في وضع هذا المصطلح والتنظير له بقولها:"أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصّي، ففي فضاء نّص معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"5 بمعنى آخرّ"كل نـــص فسيفساء (Mosiaque) من الاقتباسات وكل نص امتصاص لنصوص أخرى"6، واستطاع رولان بارت أنّ يطوّر هذا المصطلح ويعمّق المراد منه، حيث نقله من محور النص إلى محور (النص- القارئ)"7، فبعد أنّ عرّف النصّ بأنه "عبارة عن كلمات مستحدثة بكثرة و ألفاظ منضدة، ومفردات مستنسخة كتبت حروفها بحروف لغة أخرى" 8، أكّد أنّ التناصية قدر يلازمه؛ فكلّ"نصّ هو تناصّ، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصيّة على الفهم بطريقة أو أخرى إذ نتعرّف نصوص

2- إبراهيم الحجري: شعرية التناص في القص المغربي الراهن، مجلة عّمان الثقافية، الأردن، ع17، 2005، ص04 .

3- عبد الله الغدامي:الخطيئة والتكفير"من البنيوية إلى التشريحية"، النادي الأدبي الثقافي، ط1،1985، ص324-325

4- جوليا كريستيفا:علم النص، تر: فريد الزاهي وم:عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2،1997،ص21

5- Gérard.Gengembre , les grands courants de la critique littéraire,ed du seuil , 1996 ,p46.

6- خليل موسى: التناص ومرجعياته في نقد مابعد البنيوية في الغرب، ص51.

7- رولان بارت: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري،حلب، ط1، 1992 ص 61.

8- رولان بارت: نظرية النص، دراسات في النص والتناصية، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1،1998، ص38

الثقافة السالفة و الحالية" 9، كما يحدد جيني مفهوم التناص، بأنّه"عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نصّ مركزي يحتفظ بريادة (قيادة)المعنى" 10 وفي ذلك تدليل على أنّ التناص ظاهرة نقدية وليس إضافة ملتبسة، تنحصر في مجال التأثر والتأثير، أمّا الناقد الفرنسي "جيرار جنيت" فيعرّفه بـــــــــــــ"حضور فعال لنص في نص آخر، معتبرا أن التناصية، هي تعلق أو تناغم أو انسجام، كل ما يجعل نص في علاقات مع نصوص أخرى بأسلوب واع أوغير واع"11

وقد أفاض جنيت في دراسته لظاهرة التناص، إذ وسع من مفهومها وميّز بين أنماطها، حين انتقل بها من الاهتمام بجامع النّص(L'architexte) الذي يعني (مجموع المقولات العامّة أو المفارقة، أنماط الخطابات، صيغ الأداء، الأجناس الأدبية، التي ينتسب إليها أيّ نصّ مفرد)، إلى الاهتمام بموضوع التعددية النصّية (Transtextualité)أو التعالي النصّي (كلّ ما يضع النّص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى) 12، لتكون بذلك المتعاليات النصّية، أعمّ وأشمل من النصّ الجامع، الذي يبقى مجرد نمط ضمن خمسة أنماط حددها جنيت، هي13:

التنـــاص،المنـــاص(Paratexte)،الميتـــانص (Métatexte)،النص اللاحق (Hypertaxte)،معمارية النص أو جامع النص(L'architexte).

ويدلّل التنوع المفهومي الذي شهده التناص بين النقاد، نظرا للمرجعية المعرفية التي يتشرّبها كل ناقد على وظيفة نقدية له، تجعله"يستوعب الأسلوب والوظيفة في آن واحد، بما يجعل النّص مدارا معرفيا وجماليا من شأنه أن يدور مع التاريخ، لا الاكتفاء بمفهوم البنية وحدها أو إطار الأسلوب وحده"14، وقد أشار"مارك أنجينو" إلى هذه الوظيفة في بحثه (التناصية)، نوجزها في النقاط الآتية:15

- سمحت فكرة النّص باعتبارها تنظيما تناصيا عند كريستيفا في نقد الفاعل المؤسس، مالك اللغة والعمل، وحلّت محلّ الذاتية، التناصية كشبكة من التباينات وإعادة استخدام لا محدودة للمواد اللسانية.
- التناصية بحث معرفي عمّا وراء الشكلانية والبنيوية المتأصلة في النصوص.

9- أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص35.

10-Gérard.Gengembre , les grands courants de la critique littéraire, p 47.

11- ينظر: جيرار جنيت: طروس"الأدب على الأدب"، دراسات في النص والتناصية، تر:محمد خير البقاعي، ص125.

12- ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي"النص والسياق"، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط2001،2، ص97 .

13- عبد الله أبو هيف: الحداثة في الشعر السعودي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002م، ص 96.

14- مارك أنجينو، التناصية: دراسات في النص و التناصية، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1998م ص73- 74.

15- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي"النص والسياق"، ص32.

– التعرّف على المعنى الاستعاري والرمزي في كلّ انتاجية نصّية، ففكرة التناص عندما تحلّ الإصلاح الإنتاجي محلّ البناء السامي، ترفض أيّ إغلاق للنص، لأن كل نص يبدو كعمل في نصوص سابقة.

– استطاعت كلمة (التناصية) الناجحة كلّ النجاح في صياغتها الصرفية، أن تؤدّي سيميائيا دور قطبٍ جذبَ سلسلة كاملة من المفاهيم المصنوعة في مواضع متنوعة من الحقل الثقافي.

و كما تعددت مفاهيم التناص مع النقاد والدارسين الغربيين وأفضت إلى معنى واحد، فلم نعدم ذلك مع النقاد العرب المحدثين أيضا، الذين اجتهدوا بدورهم تعريباً أوتأليفا في ايجاد مصطلحات ومفهومات تحمل مدلول الوافد الجديد، ومن هؤلاء الناقد "سعيد يقطين"، الذي يشير إلى التناص بقوله: أنّ"النص بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أوجماعية) ضمن بنية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة" 16، الناقد جابر عصفور الذي يراه مصطلحا يشير إلى" الفاعلية بين النصوص فيؤكّد مفهوم عدم انغلاق النّص على نفسه وانفتاحه على غيره من النصوص وذلك على أساس مبدإ مؤداه أنّ كل نصّ يتضمن وفرة من النصوص مغايرة يتمثلها ويحولها بقدر ما يتحول ويتحدد بها على مستويات مختلفة" 17 ويعرّف "عبد المالك مرتاض""مصطلح التناصية بأنها تبادل التأثير، والعلاقات بين نص أدبي ونصوص أخرى"18.

أمّا محمد مفتاح، فإنّه يرصد للتناص مجموعة من التعاريف، تعدّ عصارة اطّلاعه على بحوث الدارسين الغربيين، الذين برأيه لم يضعوا له تعريفا جامعا مانعا19:

– فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة.

– ممتص لها يجعلها من عندياته، وبتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه، ومع مقاصده.

– محوّل لها بتمطيطها أوتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أوبهدف تعضيدها.

ومعنى هذا، أنّ التناص هو تعالق (الدّخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدث بكيفيات مختلفة20

– التداخل النصّي في الخطاب البلاغي لـــ(عبد القاهر الجرجاني):

وعلى غرار ما شهده التناص في النقد الأدبي الحديث من زخم معرفي– كونه شكّل نظرية نقدية تبحث في شعرية الإبداع الأدبي وجمالياتــــــــــه على مستوى التلقّي–، فإنّه ما فتئ يشكّل سيمياء الظاهـــــرة في النقد العربي الحديث، ويثير حوله مسألة هي غاية في الأهمية؛ تتمحور حول البحث عن مماثل اصطلاحي أو شبيه

16– ينظر:حسين خمري فضاء المتخيّل"مقاربات في الرواية"، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص100.

17– ينظر: محصول سامية، التناص؛ اشكالية المصطلح والمفاهيم، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث، العدد 01، 2008م، ص72.

18– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري"استراتجية التناص"المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992، ص121.

19– المرجع نفسه، ص ن.

20– حسين جمعة، المسبار في النقد الأدبي منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،2003، ص169.

إجرائي له في الموروث النقدي العربي؛ إذ يذهب جلّ النقاد العرب المحدثين إلى أنّ فكرة التناص ذات أصول موغلة في تراثنا النقدي، وما هي إلاّ "صك جديدةٌ لعملةٍ قديمة وإن اختلفت وجوهُها"21؛ لاسيما إذ وضعنا في الحسبان أنّ الدراسات النقدية للعرب القدامى قد تطرقت في محاور منها إلى"الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها ومقدار ما حوت من الجدة والابتكار، أومبلغ ما يدين به أصحابها لسابقيهم من المبرزين من الأدباء من التقليد والإتباع".22

وممن تصطفي هذه الدراسة مقاربة فكرهم البلاغي، وقوفا عند معاني التناص واستبيانا لظاهرة التداخلّ النصّي في الموروث البلاغي العربي، نذكر العالم العقلاني الإمام (عبد القاهر الجرجاني) (المتوفى471هـ)، الذي يعدّ"من أبرز المجددين في مناهج الدراسة اللغوية والأدبية، والذي ذاع صيته من خلال مؤلّفين احتلاّ مكانة مركزية في البلاغة العربية هما: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ناهيك عن (نظرية النظم) التي استقلّ بها عن معاصريه، وحققت تشابها كبيرا في نقاط التلاقي بينها وبين ما وصلت إليه الدراسات النقدية الحديثة، بشهادة معظم الدارسين والباحثين، وذلك رغم الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أنّ يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر الجرجاني23.

يتطرق عبد القاهر الجرجاني إلى ظاهرة (التداخل النصّي)، بشكل من التفصيل وتحديدا في كتابه (أسرار البلاغة) ضمن مسألة نقدية شمولية، هي ظاهرة "السرقات الشعرية"، التي شغلت مركز النقد القديم؛ و"اتّخذ منها النقاد العرب مدخلا نظريـــــــــــــا لمتابعة الإبداع الشعري العربي ومحاصرة أدبيته، بناء على الكيفية التي تفاعل بها مع النموذج الشعري السابق عليه ومدى محافظته على مكوناته الفنية"24.

ومن القضايا البارزة، التي جعلها الجرجاني مدخلا إلى مناقشة ظاهرة التداخل النصّي ورصد تجلياتها بالخطاب الأدبي، تحت باب(السرقات)، ما تعلّق بمسألة **المعنى**، إذ يشير في فصل(**الأخذ والسرقة وما في ذلك من التعليل، وضروب الحقيقة والتخييل**)إلى أن"الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق واقتدى بمن تقدم وسبق لا يخلو من أن يكون في **المعنى صريحا أوفي صيغة تتعلق بالعبارة**"25، وإيضاحا لهذا المعطى، يتناول الجرجاني مسألة بناء المعنى من خلال قسمين أساسيين:

- أولا: القسم العقلي:

وهو في اعتقاد الجرجاني، ما لا يؤخذ فيه الكلام على السرقة، وإنما ينبئ بأشكال من التداخل، يتكفّل بها

21- بدوي طبانة، السرقات الأدبية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1986، ص 03 .

22- ينظر: محمد عبّاس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبدالقاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999، ص15

23- عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص31.

24- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، د.ت، ص263.

25- المصدر نفسه، ص264.

العقل ويستنبطها الحكماء، وقد نعته الجرجاني بالقسم العقلي، لأنّ العقلاء قد اتفقوا"على الأخذ به والحكم بموجبه، في كل جيل وأمّة، ويوجد له أصل في كل لسان ولغة"26، ويقسّم الجرجاني هذا القسم إلى أربعة أنواع: **(عقلي صحيح)** و**(صريح معنى)** و**(معنى معقول)**.

فأولها:((**عقلي صحيح**)):"مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة، مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء والفوائد التي تثيرها الحكماء ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبي (عليه السلام) وكلام الصحابة (رضي الله عنهم)، ومنقولا من أثار السلف الذين شأنهم الصدق وقصدهم الحق أو ترى له أصلا في الأمثال القديمة والحكم المأثورة عن القدماء"27، ومن ذلك، قول الشاعر:

وَمَا الحَسَبُ المَوْرُوثُ لا درّ دَرُّه بِمُحْتَسَبٍ إلاّ بِآخَرَ مُكْتَسبْ

ومن نظائر هذا الشاهد الشعري، من جهة المعنى، ما نلمسه في قول أحدهم:

وإنّي وَإنْ كُنتُ ابنَ سَيِّدِ عامِرٍ وفي السّرِ مِنهَا والصَّرِيحِ المُهَذَّبِ

فَما سَوَّدتني عامِرٌ عَنْ وِرائَةٍ أَبَى اللهُ أنْ أسْمو بِأمٍّ ولا أبِ

أما النوع الثاني ((**صريح معنى**)) "ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب، وإنما له ما يُلْبَسُهُ من اللفظ ويكسوه من العبارة، وكيفية التأديـــة من الاختصار وخلافه والكشف أوضدّه"28، وقد يجد هذا النوع من المعاني حسب الجرجاني، طريقه إلى النص الشعري أو غيره وفق آليتي الاقتباس أو الامتصاص، وكثيرة هي نماذج هذا التداخل، منها هذا البيت الشعري للمتنبي، الذي أورده الجرجاني في هذا السياق:

وكُلُّ امرىءٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وكلُّ مكـــانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

الذي يستحضر صَدْرُهُ، إيماءً لا تصريحاً، باقتصاده اللفظي وكثافة معانيه قوله تعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾29

كما يستحضر موازاة مع هذا النصّ القرآني، قول النبي (صلى الله عليه وسلّم):

((جُبِلَتِ القُلُوبُ علَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إلَيْهَا))

وهو تداخل اعتمد آلية الامتصاص، بكثير من الأدبية أو الشعرية، وقد لعب العقل دورا بارزا في إنتاج معانيه، حيث عمد الشاعر على استحضار معنى، اتفق العقل على اجتماعه بين النصّين.

وليس النوع الثالث ((**معنى معقول**))، بمختلفٍ عن النوعين السابقين؛ إذ"لم يزل العقلاء يقضون بصحته، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته، وبه جاءت أوامر الله سبحانه وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن

26- المصدر نفسه، ص.ن

27- المصدر نفسه، ص265.

28- سورة فصّلت، الآية 34.

29- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 266 .

النبويّة، وبه استقام لأهل الدِّينِ دِينَهم وانتفى عنهم أذى من يَفتِنَهُم وَيَضِيرُهم.'30

- ثانيا: القسم التخييليّ:

و هو قسملا يتصل بالعقل وقوانينه الصارمة، وإن كانت "تلعب (الصنعة) والحذق دورا بـــارزا في إنتاج دلالته بشكل يقرّبه من خضوعه لأحكام العقل واقترابـــه من عالم (الحق)، بالاعتماد على الوسائل التخييلية في تشكيل ما يشبه الأقيسة"31.

بيد أنّ قسم يشتمل على أشياء، تخالف طبيعة القسم الأول، إذ:"لا يمكن أن يقال إنّه صِدقٌ، وإنّ ما أثبتَه ثابتٌ، وما نفاه منفيّ، وهو مفتنٌّ المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يُحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيماً وتبويباً، ثم أنه يجيء طبقاتٍ ويأتي على درجـــاتٍ"32، منها مـــــا يكون خداعـــــــا وإيهامـــا للعقل، ومنها ما يكون ضربـــــــا من التصنّع، فيه للقبح تحسين وتزيين.

النوع الأوّل، يجسّده قول أبي تمام:

لا تُنكري عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى فَالسَّيلُ حربٌ للمكانِ العَالي33

ويدلّ معنى البيت؛ أنّ عدم اتصّاف المرء النبيل بالثراء والغنى وعدم جمعه المال وكثره، مردّه كثرة السخاء والجود، إذ هو كالغيث في عون المحتاجين والفقراء، بيد أنّ قياس ذلك بالسيل عن الطوّد العالي، يرى الجرجاني أنّه "قياس تخييل وإيهام، لا تحصيل وإحكام، فالعلّة في أنّ السيل لا يستقرّ عن الأمكنة العالية؛ أن الماء سيّال لا يثبت إلاّ إذا حصل في موضع له جوانبُ تدفعه عن الانصباب وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال شيء من هذه الخلال."34

أمّا النوع الثاني، فيطالعنا به قول البحتري:

وبَيَاضُ البَازَى أَصدَقُ حُسناً إِنْ تَأَمَّلْتَ سَوَادَ الغُـــرَاب35

يودّ البحتري في هذا البيت"أن يحبب الشيب إلى ممدوحه، ويزيّنه له؛ فيقول إنّ الشيب بياض

30- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1995،ص171-172.

31- عبد القاهر الجرجاني: المصدر نفسه، ص267 .

32- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص38.

33- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 267.

34- البحتري، الديوان، ج2، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، ص109.

35- عثمان موافى، في نظرية الأدب"من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم"، ج1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000، ص 149.

والشباب سواد، والبياض أجمل في العين من السواد، والشاهد على هـــــــــذا أنّ البازى الأبيض، أجمل في العين من سواد الغراب"36، بيد أنّ الحقيقة غير هذا؛ إذ لم"تكن العلّة في كراهة الشيب بياضُه و لم يكن هو الذي غضَّ عنّه الأبصار، ومنحه العيب والإنكار، كذلك لم يحسن سواد الشعر في العيون لكونه سواداً فقط"37.

و إنّما مردّ ذلك"أنّ الشيب ضعف، والشباب قوة وحركة ونشاط ولكنّ الشاعر قلب الحقيقة هنا بضرب من التخييل عمد فيه إلى تزيين القبيح وتقبيح الحسن."38

ندرك مما سبق، أنّ الجرجانيّ يحاول نفي مفهوم السرقة عن معاني القسم العقلي ويثبتها في القسم التخييلي؛ ففي القسم الأوّل تأتي المعاني صريحة، يشهد العقل بصحّتها إذ كلّها أدبُ مواعظٍ وحكمٍ وآثار سلفٍ، تتلاقى فيها النظائر"وتتشابه وتتشاكل ومكانه من العقل ما ظهر لك واستبان، ووضح واستنار"39

أمّا معاني القسم الثاني، يأتي بها الشاعر ليثبت "أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدّعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه، ويريها ما لا ترى"40، تحت مبرر حسن التعليل وفي ذلك تخييل لامعقول، بيد أنّه "موضوع الشعر والخطابة، أن يجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علّة لحكم يريدونه، وإن لم يكن كذلك في المعقول، ومقتضيات العقول."41، ومن هذا المنطلق، فإن **القسم التخييلي** " يحتمل معظم ظواهر التناص؛ نتيجة لأن تشكيلاته تأخذ خصوصية الارتباط بمبدعها شكلا ومضمونا."42

وفي هذا السياق، وتحت باب السرقات دائما، يتعمق الجرجاني في تعرضّه لظاهرة التناص، إذ نجده يفصّل القول فيما يثبت سرقة المعاني من عدمها، ويبيّن ما يقرّ مشروعية التداخل النصّي ومواطن التفاضل بين الشعراء دون غيرها، فإذا ما قاربنا ما أشار إليه الجرجاني في فصل**"الاتّفاق في الأخذ والسّرقة والاستمداد والاستعانة"** نجده يؤكّد على عدم السرقة في المعاني العامّة المشتركة، والحكم ذاته مع المعاني الخاصّة التي تصبح كالعامّة المشتركة لكثرة تداولها، حيث يقول:"فأمّا الاتفاق في عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلا في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة"43.

ويقول الجرجاني في مقام آخر،"وأمّـــــا الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض، فيجب أنّ ينظر، فإن

---

36 – عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 269.

37– عثمان موافى، المرجع السابق، ص 149.

38– عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص265.

39– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 275.

40– المصدر نفسه، ص 270.

41– محمد عبد المطلب:قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص173.

42– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص339.

43– المصدر نفسه، ص.ن.

كان مما اشترك النـــــاس في معرفته، وكان مستقرا في العقول والعادات، فإنّ حكم ذلك وإن كان خصوصا في المعنى، حُكم العموم الذي تقدّم ذكرُهُ." 44 ويعني بـــ((**الاتفاق في عموم الغرض**))؛"أن يقصد كلّ واحدّ منهما وصفَ ممدوحه بالشجاعة والسخاء أوحسن الوجه والبهاء أووصف فرسه بالسرعة أوما جرى هذا المجرى" 45، من الوصف في الإطار الكلّي للمعنى.

أمّا((**وجه الدّلالة على الغرض**))،"أن يذكر ما يُستدلُّ به على إثباته له" 46، كالتشبيه بالأســـد في الشجاعة، والبحر في الجود والسخاء.

بيد أنّ هذا((**المشترك العامي**)) من المعنى، الذي يأتي صريحا، ظاهرا، يتداوله الناس بشكلّ شموليّ فلا يكون حينئذ مجالا للتفاضل بين الكتّاب و الشعراء، نجد أن الجرجاني يستدرك القول فيه مرة أخرى، ويزلة منزلة ثانية؛ إذ يصبح بالإمكان أن"يدّعى فيه الاختصاص والسبق والتقدّم والأولوية، وأن يجعل فيه سلفٌ وخلفٌ ومفيد ومستفيدٌ، وأن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين، وأنّ أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأنّ الثاني زاد على الأوّل أو نقص عنه، وترقّى إلى غاية أبعد من غايته" 47. ويُنزل المشترك العامي من المعنى هذه المنزلةَ، كلما"ركّب عليه معنىً ووُصل به لطيفة، ودُخِل إليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح، فقد صار بما غُيّر من طريقتـــه واستُؤنِفَ من صورته... داخلاً في قبيل الخاصّ الذي يُتملّك بالفكرة والتعمُّل ويُتوصَّل إليه بالتدبّر والتأمّل"48.

و يقصد الجرجاني من قوله هذا (المعنى الثاني) أومعنى المعنى * الذي يشكّله (المجاز)، من تشبيه واستعارة وكناية، مثل قول العرب:((**كثير رماد القدر**)) أو((**طويل النجاد**)) أو((**نؤوم الضحى**))، ففي هذه الصور البلاغية- كما يرى الجرجاني:- "إنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يُوجبهُ ظاهرُهُ ثمّ يَعْقلُ السامعُ من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنىً ثانيا هو غرضك؛ كمعرفتك من (**كثير الرماد أنّه مضيافٌ**)، ومن (**طويل النجاد أنّه طول القامة**)، ومن (**نؤوم الضحى في المرأة أنها مترفةٌ مخدومة، لها من يكفيها أمرها**)." 49

و نستنبط من تفصيلات الجرجاني، فيما ذكره ضمن فصل **"الاتّفاق في الأخذ والسّرقة والاستمداد**

44- المصدر نفسه، ص 338.

45- المصدر نفسه، ص.ن

46- المصدر نفسه، ص340.

47- عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص340-341.

*- يقصد بالمعنى "ما يفهم من اللفظ بمجرد النطق به، ثم يقضي ذلك المعنى إلى معنى آخر (معنى ثانٍ)، ذلك أن الكلام على ضربين؛ ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض." ينظر: السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، لبنان 1968، ص 184-185 .

49- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص 268.

والاستعانة"،أنالتداخل النصّي في باب(**الاتفاق في عموم الغرض**) حاصل بين الكتاب على سبيل (**التوارد**)، بيد أنه تداخلٌ تأخذُ فيه المعاني صيغة الإجمال، وبما أنّ مثل هذه"الأنماط التعبيرية ليست بذات خصوصية من حيث الوقوع عليها ومعرفتها، كما أن إدراكها لا يحتاج إلى روية واستنباط وتدّبر وتأمّل وإنما حكمها حكم الغرائز المركوزة في النفوس، والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب"50، فإن التداخل هنا، لا يرقى إلى مستوى وظيفيّ، يُقضى فيه، بالتباين والتفاضل بين المبدعين.

بينما صيغة التداخل النصّي من حيث الاتفاق على(**وجه الدَّلالة على الغرض**)، من جهة تحوّل المعنى من المشترك العامي إلى الخاص المتفرّد، فإنه أرقى مستوى من نظيره الأوّل؛ ففيه يرتحل المعنى من دائرة العموم والإجمال إلى دائرة الخصوصية في البناء، وهي عملية وظيفية، تستلزم استثمار الأدوات البلاغية في إنتاج المعاني الثواني، وتتطلّب بذلك إعمال عقلِ المُبدِعِ وقدراته الفنية واللغوية، وبالتالي إدراك المعنى الثاني،"يُتوصَّل إليه بالتدبّر والتأمّل"51 أيضا؛ إذ لا يمكن أن يُثبتَ المتلقي السبقَ والفَضْلَ لمن أجاد وأبدع في بناء هذا المعنى، ما لم يتمكن من اختراق الأنماط التعبيرية الجاهزة وحجاب معانيها السطحية، المباشرة، إلى الغوص في بنياتها العميقة، ورصد معانيها المضمرة، غير المباشرة.

و يتضح مما سبق، أنّ الجرجاني يحاول قدر الامكان،"أن يفلسف دراسة السرقات إلى حدّ ما، وأن ينقلها من دائرة الاتهام إلى دراسة فنية خالصة للمعاني ينتقي معها وجود سرقة على الإطلاق، إلاّ إذا كانت نسخـــاً"52، أو سلخـــاً، بأنّ يُبدّلَ اللفظ، ويُعاد المعنى كما ورد بهيئته الأولى، وهـــذا ما يُحدث الطفـــرة في طرح الجرجاني، إذ بيّن نمط السرقة المقصودة من طرفه؛ حيث يرى:"لو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته، وكان الآخِذُ له من صَاحبِهِ لا يصنع شيئا غير أن يُبْدِلَ لفظا مكان لفظٍ، لكانَ الإخفاءُ فيه مُحَالاً، لأن اللفظ لا يُخفِي المعنى، وإنما يُخْفِيهِ إخراجُهُ في صورةٍ غير التي كان عليها"53.

و يبيّن هذا الرأي، أنّ الجرجاني ينكر صنيع أولئك الذين يأخذون بمزية اللفظ ويغيّبون أهمية المعنى، حيث يقول:"ومما إذا تفكّر فيه العاقل أطال التعجّب من أمر النّاس ومن شدَّة غفلتهم قول العلماء حيثُ ذكروا ((الأخذ والسرقة)): إنّ من أخذ معنى عارياً فكسَاهُ لفظاً من عنده كان أحقُّ به، وهو كلام مشهور متداولٌ يقرأه الصبيان في أولّ كتاب عبد الرَّحمن* ثمّ لا ترى أحدا من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ يفكّر في ذلك، فيقول: من أين يتصوّر أن يكون هاهنا، معنى عارٍ من لفظ يدلُّ عليه؟ ثمّ من أين يُعقلُ أن يجيءَ الواحد منّا لمعنى من المعاني

50- محمد عبد المطلب:قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص169.

51- عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص340-341.

52- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1972، ص 353 .

53- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 466.

*-عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (المتوفى سنة320هـــ)، كان كاتبا لغويا وأديبا، شاعرا، أمّا كتابه فهو"الألفاظ الكتابية".

بلفظٍ من عنده إن كان المرادُ باللفظ نُطقَ اللسان؟ ثمّ هب أنّه يصحّ له أن يفعل ذلك فمن أين يجب إذا وَضعَ لفظاً على معنى أن يصير أحقَّ من صاحبه الذي أخذه منه إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئا ولايحدث فيه صفة ولا يُكسبه فضيلةً؟"54

يعدّ الموقف الجرجاني هنا، قراءة ضمن قراءات متعددة حول مسألة نقدية كانت مثار خصومة بين نقّاد زمنه، وانتقلت فيما بعد إلى المحدثين؛ هي قضية ((اللفظ والمعنى))**، لكن ما يهمّنا من هذا القول، أنّ الجرجاني يقرّ بالتداخل النصّي بين الشعراء لكنّه يبيّن شكله، ويحدّد مستواه بين هؤلاء، إذ لا يصحّ أنّ نعتبر التفاوت والتفاضل فيما بينهم يكمن في استبدالهم للفظٍ مكان لفظٍ؛ ونقرّ أنّ ذلك عين الإبتكار والإبداع والجدّة منهم، في مقابلٍ يغيب عن اهتماماتنا صنيعهم بالمعنى، الذي لم تتغيّر هيئته الأولى لدى الآخذين به عن السابق إليه، فذلك برأي الجرجاني أمر محالٌ وقياس فاسد أنّ يجيئك التالي من الشاعرين بالمعنى معادا ويكون"قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد وفي آخر:أنه أساء وقَصَّر لغواً من القول، من حيث كان محالا أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئا"55.

فاللفظ لا يدلّ بنفسه وإنّما بالمعنى الذي يحيل إليه وهذا مايثبته (ابن سينا) في حديثه عن حرّية الكلمة في الدلالة، إذ يقول:"إن اللفظ بنفسه لا يدل البتة، ولولا ذلك لكان لكل لفظ حق من المعنى لا يجاوزه، بل إنما يدلّ بإرادة اللافظ. فكما أن اللافظ يطلقه دالا على معنى، كالعين على الدينار، فيكون ذلك دلالته، كذلك إذا أخلاه في إطلاقه عن الدلالة بقي غير دالٍ"56.

وقد أورد لنا الجرجاني في هذا السياق، أمثلة عن تَعاورِ الشعراء للمعنى الواحد، وكيف يخرجه الواحد

54- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص440-441.

** ظهرت قضية اللفظ والمعنى لأوّل مرّة في شكل ملاحظات عابرة في صحيفة بشر بن المعتمر (210هـ)، ثم أثارها الجاحظ (255هـ) في (البيان والتبيان)، وتبعه ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء)، ثمّ اسحاق بن وهب (335هـ) وقدامة بن جعفر (337هـ) في (نقد الشعر) وأبوهلال العسكري (395هـ) وابن سنان الخفاجي (466هـ) في (سرّ الفصاحة)، حتى وصلت إلى عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) وأعطاها دفعا مغايرا لآراء السابقين حتى ظهر ابن الأثير(637هـ)، إذ تناول القضية في كتابه (المثل السائر) الذي اقتدى بابن سنان في اهتمامه بالألفاظ، و لم ينهج منهج عبدالقاهر الجرجاني مما عطّل من حركة تطوّر البلاغة وفي استمرارية البحث فيها، ومواصلة المنهج الذي تنبّه إليه عبدالقاهر الجرجاني في عملية التوافق بين اللفظ والمعنى والتحامهما في جمالية التعبير البلاغي، وهذه المسألة التي احتدم حولها الصراع بين النّقاد أمدا طويلا، وشغلت اهتمام النقاد قديما في الموازنة بين الاتجاهات الشعرية من حيث مقياس المحافظة والتجديد في المعاني والألفاظ، ودواعي الصياغة بين القديم والحديث، قد عادت في العصر الحديث لتثار تحت مسمّى جديد هو(الشكل والمضمون). ينظر: محمد عبّاس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، ص 56.

55- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 466.

56- ينظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير،ص 328.

منهم في صورة تخالف تخريج السابقين، ومن ذلك بيت أبي نواس، الذي ذكره القاضي أبا الحسن:57

خَلَيْــتَ والحُســنَ تــأخذُه تَنْتقِــي مِنــه وتَنتخــبُ

وبيتَ عبدالله بن مصعب:

كأنَّك جئتَ مُحتكِما عليهم تُخيِّر فــي الأبــوَة مَا تَشــاءُ

وذكر أنّهما معا من بيت بشّار:

خُلِقْتُ عَلى مَا فِيَّ غَيرَ مُخيَّرٍ هَواي وَلَو خُيِّرتُ كنتُ المُهذّب58

والأمر في تناسب هذه الثلاثة بيّن ظاهر، ثمّ أنّ أبا تمام قد تناول هذا المعنى فأخفاه:

فَلو صَوّرتَ نفسَك لم تزدْها على ما فِيكَ من كَرمِ الطِّباعِ59

هذا النمط من التداخل النّصي يطالعنا به الجرجاني فيما ذكره أيضا عن المَرزُباني من كتابه (الشعر والشعراء)، إذ يقول:"قال: ومن الأمثال القديمة قولهم: (حَرًّا أخافُ على جاني كمأةٍ لا قُرّا) يُضرب مثلاً للذي يخافُ من شيءٍ فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يَخَفْهُ، فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء، فقال60

وحذِرت من أمرٍ فمرّ بجانبي لم يُنْكِني ولَقيْتُ ما لم أَحْذَرِ

وقال لبيد:

أخشى على أربدَ الحتوفَ ولا أرهبُ نوْءَ السِّماك والأسَدِ61

قال: وأخذه البحتري فأحسن وطغى اقتداراً على العبارة واتساعا على المعنى فقال:

لو أنّني أوفي التجارب حقّها فيما أَرتْ لرجوتُ ما أخشاهُ62

وقد علّق عبد القاهر الجرجاني على هذا التعاور بين الشعراء للمعنى الواحد، بقوله أن:"في هذا دليلٌ لمن عقلَ أنّهم لا يعنون بحسن العبارة مجرّد اللفظ، ولكنّ صورةً وخصوصيّةً تحدُثُ في المعنى، وشيئا طريق معرفته على الجملة العقلُ دون السماع، فإنّه على كلّ حالٍ لم يقل في البحتري إنّه أحسن فطغى اقتدارا على العبارة من أجل حروفٍ ((لو أنني أوفي التجارب حقّها)).63"

ولئن كان الجرجاني قد أشار سابقا إلى الاهتمام بالمعنى، فهذا لا يعني الدعوة إلى تغييب اللفظ وإنّما

57- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 466-467.

58- بشار بن برد، الديوان، تح: محمد الطاهر بن عاشور، ج1، اصدار وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص269.

59- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص408.

60- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص442-443

61- لبيد بن ربيعة، الديوان، اعتناء: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص34.

62- البحتري، الديوان، ج1، ص192.

63- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 444.

يؤكّد"ضرورة التلاحم بين الألفاظ والمعاني، وينفي فكرة عزل اللفظ عن المعنى وينقد بشدّة أصحاب الاتجاه الذين يهتمون بطرف دون الآخر *؛ "إذ يرى في اللفظ والمعنى"دعامتين من دعائم النصّ الأدبي وأداتين ضرورتين في تكوين ظاهرة النظم وأكّد على حتمية المطابقة بين اللفظ والمعنى فقال:"((إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقّة طاعتها فمن نصر اللفظ عن المعنى كما أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته وذلك مظنّة من الاستكراه))"64

وتتجلّى مسألة التداخل النصّي لدى عبدالقاهر الجرجاني في ظاهرة ((**الاحتذاء**)) حيث يقول:"واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرضٍ أسلوباً–والأسلوب الضربُ من النَّظم والطريقةُ فيه– فيعمدَ شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فَيجيءَ به في شعره فَيُشبَّهُ بمن يقطَعُ من أديمه نعلاً على مثال نعلٍ قد قطعها صاحِبُها؛ فيقال قد احتذى على مثاله."65

ويبدو أنّ فاعلية التداخل النصّي لدى عبد القاهر الجرجاني وفق مفهوم ((الاحتذاء)) مرتكزها عملية النّظم؛ المضمار الذي"يُقضى بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين، وأنّ أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأنّ الثاني زاد على الأوّل أونقص عنه، وترقّى إلى غاية أبعد من غايته، أوانحطّ إلى منزلة هي دون منزلته"66.

والاحتذاء عند الجرجاني هو نقيض المحاكاة اللفظية بين المبدعين، إذ"لوكان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرضُ ترتيب المعاني في النفس ثمّ النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يُحسّان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيء يجهله الآخر" 67، فالنظم تحت سلطة المحاكاة، لا يعدو أن يكون مجرّد مغالطات أو إحالات ساذجة،

---

*– لاشك أنّ القارىء لموقف الجرجاني من هذا الاتجاه بمؤلّفِه (دلائل الاعجاز، ص 440) يدرك أنّ المقصود بحديثه هو((الجاحظ)) الذي أورد عبارته الشهيرة (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ) ويبدو أنّ القول يُظهر الجاحظ من دعاة اللفظ على حساب المعنى، بيد أنّ ذلك تفسير يخالف مفهوم الجاحظ في المسألة، إذ أنّ"منطوق النصّ لا يقتصر على اللفظ وحده، بل يعدد عناصر فنّية تقتضيها صناعة الشعر، ولعلّ غاية صاحب القول أن تلك الصناعة لا تقتصر على المعنى فحسب، وإنما يجتمع في ذلك "اقامة الوزن تخيّر اللفظ وسهولة المخرج وصحّة الطبع وجودة السبك؛ فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير". ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج 3، ص132–133. وهذا ما أشار إليه الباحث محمد عباس بقوله"أن ظاهرة المزاوجة بين اللفظ والمعنى صريحة في أدبيات الجاحظ وفي نقده الذي يضمن به أسباب التوازن بينهما،كقوله في (البيان والتبيين):(لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فــلايكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك)" ينظر: محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، ص60–61.

64– ينظر: محمد عباس، المرجع نفسه، ص60.

65– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص 430.

66– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص340.

67– المصدر نفسه، 98.

ينتفي معها وجود تباين أو إقرار تفاضل بين المبدعين، وهذا ما لا ينطبق أيضا على إجراء التناص في النقد الأدبي الحديث؛ **فهو ليس عملية استعراض للثقافة أو مجرد عمل تشكيليّ، الغاية منه، ضم**النصوص أو الشواهـــــد إلى بعضها، **وإنما هو شكل من أشكال التحوّل** في البنى النصّية، **المتفرقة في الزمان والمكان والمتناثرة عبر ثقافات مختلفة، التي** يحتفي بها الخطاب الأدبي في نسقَيْه الظاهر والمضمر، تتمازج وتنصهر فيما بينها، في شبكة من العلاقات الحيّة68، وهو ما يتطلب من المتلقي جهدا فكريا ووعيا معرفيا، للمعرفة بشبكات هذا الخطاب، لفضّ شفراته وإدراك دلالاته.

ويسوق لنا الجرجاني في هذا السياق نماذج عن الاحتذاء بين الشعراء؛ منها ما لم يُخف أثره، إذ تكاد الألفاظ فيه أن تكون محاكاة لبعضها البعض بشكل قريب من الإبداع، ومنها ما تخفّى فيها الاحتذاء، بشكل من الحرفية، إذ يعود اكتشافه ورصد الشاهد فيه، إلى ذكاء القارئ وسعة ثقافته.

نموذجنا عن النوع الأوّل من الاحتذاء، قول الفرزدق69:

أتَرجو رُبَيعُ أن تَجيءَ صِغارُها بخيرٍ وقد أعيا رَبيْعًا كِبـــارُهَا

حيث احتذاه البَعِيثُ، فقال:

أترجو كُليبٌ أن يجيءَ حديثُها بخيرٍ وقد أعيا كُليباً قَـــديمها

وقالوا: أن الفرزدق لّما سمعَ هذا البيتَ، قال:

إذا ما قـــلتَ قافيـــةً شَرودًا !تَنَحّلَها ابن حَمْراءِ العِجَانِ

أمّا نموذجنا عن النوع الثاني، قول البحتري70:

ولن يَنقُلَ الحُسّادُ مجدَكَ بعدماَ تمكّنَ رَضْوى واطمأنّ مُتالِعُ71

وقول أبي تمام:

ولقد جَهَدتم أن تُزيلُوا عزَّهُ فإذا أبـــانٌ قد رَسَا ويَلَمْلَمُ

حيث احتذى كلّ واحد منهما قول الفرزدق:

فادفَعْ بِكفّكَ إنْ أَردت بِنَاءَهَا ثَهْلاَنَ ذا الهضَبات هل يَتَحَلْحَلُ؟

هذا مجمل ما اقتفاه بحثنا، بشكل مقتضب، من أثرٍ لظاهرة (التناص) أو(التداخل النصّي) بالمدوّنة البلاغية

68- ينظر: حسين خمري: فضاء المتخيّل"مقاربات في الرواية"، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص101-103.

69- المصدر نفسه، ص430-431.

70- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص432.

71- البحتري، الديوان، ج1، ص46.

للعالم العقلاني"عبد القاهر الجرجاني"، وقد بدا لنا مما سجلناه في هذا البحث، أنّ هذه الظاهرة النصّية الفنّية ليست بالجديدة الوافدة على النقد العربي المعاصر، وإنما لها جذور في تراثه النقدي، ولو بمسميات مغايرة؛ فقضية تداخل النصوص وتعالقها، مسألة أحس بها المبدعون وتناولها البلاغيون والنقاد العرب القدامى وأفاضوا حولها الحديث؛ حيث رصدوا عدّة آليات وطرائق يمكن أن تحصل بها هذه الظاهرة، فعلى غرار ما رصدناه مع الجرجاني، فقد تداول التراث النقدي والبلاغي مصطلحات عديدة تقارب معانيها مفهوم التناص، أوتندرج بشكل من الأشكال تحت مظلّة التداخلات النصّية وتفاعلها، مثل((الاقتباس والتضمين والتلميح والمعارضة، والاستدعاء والاستمداد، والإحالة والتوارد، والنقائض...)) دون الأخذ بالاختلافات الجوهرية بين هذه المصطلحات، التي رصد النّقاد القدماء"طرائق ممارستها من منظور بلاغي، على اعتبار أن البلاغة كانت هي العلم الأحدث الذي يزيد في جماليات الشعر، فهي علم تقييمي قبل أن تصبح تعليمية.

ومن هنا يمكن القول، إن النقد العربي القديم قد أشار إلى(التداخل النصي) وإن لم يحدده باسمه المعاصر"72، و هذا مما يُدلّل بدوره"أن الجهود العربية في مجال التنظير للأدب ونقده كانت جهودا عظيمة وهي تضع المفكرين العرب القدماء في طليعة مفكري العالم في هذا المجال" 73، دون أنّ نلغي فضل النقد الغربي في تأصيل هذه الجهود النقدية؛ بإخراجها من مهدها وبلورتها في شكل مناهج ونظريات أضحت تقارب بإجراءاتها النصوص الأدبية، ومن مستويات متعددة.

- **المصادر والمراجع:**

1- إبراهيم الحجري: شعرية التناص في القص المغربي الراهن، مجلة عّمان الثقافية، الأردن، العدد 17، 2005م.

2 - بدوي طبانة: السرقات الأدبية، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1986م.

3_ بشار بن برد:الديوان، تح: محمد الطاهر بن عاشور، ج1، اصدار وزارة الثقافة الجزائرية، 2007م.

4 _ البحتري: الديوان، ج2، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، دت.

5 - جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2،1997 م.

72- محمد عزّام، النص الغائب"تجليات التناص في الشعر العربي"، ص43.

73- يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، ط2 ، مصر 2002، ص 136 .

6-جيرار جنيت:طروس"الأدب على الأدب"، دراسات في النص والتناصية، تر:محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م.

7- حسين جمعة: المسبار في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003 م.

8_ يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، ط2 ، مصر، 2002م.

9_ لبيد بن ربيعة: الديوان، اعتناء: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

10_ محمد عبّاس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999م.

11- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1995م.

12- مارك أنجينو: التناصية"دراسات في النص و التناصية"، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م.

13- ناصيف اليازجي: العَرفُ الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب،ج 2، تق:عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، لبنان،

14- رولان بارت: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري،حلب، ط1، 1992 م.

15-نظرية النص، دراسات في النص والتناصية، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب،ط1 ،1998

16_ السيد أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت،1968م.

17- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة د.ت

18-دلائل الإعجاز تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م.

19- عبد الله أبو هيف: الحداثة في الشعر السعودي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002م.

20-عثمان موافى: في نظرية الأدب"،الجزء الأوّل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،2000م.

21_ عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1972م.

22- عبدالقادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية تطبيقية، أفريقيا الشرق المغرب 2007م.

23- العربي الرامي: قراءة في كتاب (الأدب موضوعا للدراسات الثقافية للناقد المغربي إدريس الخضراوي)، مجلة عمان الثقافية، أمانة عمان الثقافية، الأردن، العدد156، حزيران 2008م.

24- حسين خمري: فضاء المتخيّل"مقاربات في الرواية"، منشورات الاختلاف، ط1، 2002

25-خليل موسى: التناص ومرجعياته في نقد مابعد البنيوية في الغرب، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، العدد143، 2010م.

26 _Gérard.Gengembre , les grands courants de la critique littéraire,ed du seuil , 1996.